شادي سلمان
مستشفى سمالوط
قصة قصيرة

مستشفى سمالوط

لا مقدمات..

”لستُ بحاجةٍ إلى إنسانٍ كامل؛ إنما إلى من يسكُن إليه قلبي، ويعي ما وراء الكلام، من لا يُغرِقني في ظنون، ولا يُثقلني بالتأويل. أحتاج إلى من يُدرك أوجاعي بصمت، ويحتوي عثراتي برفق، من يرى الجمال المخبّأ في أعماقي ويُصغي لصوت حزني الخافت، ويعيه .. يعيه فحسب!“

****

أغلق "رُهاب" دفتره الذي اعتاد أن يُدوّن فيه جراحه وأتراحه، بعدما تلقّى نتيجته التي هشّمت قلبه وبدّدت حلمه، ونسفت المسافة بينه وبين حلمٍ سهرَ لأجله الليالي وبذل فيه الجهد الغالي. لكنّ النتيجة المشؤومة نأت به نأيًا آلاف الأميال عن أمانٍ لطالما خطّط لها منذ نعومة أظفاره. كلّ شيء تلاشى كما لو كان هباءً منثورًا.

في النهاية قرّر أن يترك كل شيء خلفه، ويشدّ الرحال إلى "المنيا" حيث يعيش جدّه، بعدما أنهى معهد التمريض، تلك الأمنية الصغيرة التي كانت دومًا تراوده: أن يحيا في الريف، بعيدًا عن صخب العاصمة، وسط سكون الطبيعة ونقائها، في بساطةٍ تُشبهه وتسكنه. وذلك آخر ما تبقّى له من أحلام، وآخر ما تمنى أن يبلغه، ولو بقلبٍ منكسر.

الخامس والعشرون من يناير/ 2018

وقف "رُهاب" أمام باب مكتب المدير، تتنازعه رهبة الخطوة الأولى وشيء من الترقب الممزوج بما تبقى في صدره من رجاء. طرق الباب طرقاتٍ وئيدة، فجاءه صوت هادئ من الداخل يأذن له بالدخول.

دفع الباب بهدوءٍ محسوب، وتقدّم خطوةً بعد أخرى، حتى وقف أمام المكتب وألقى السلام. رفع المدير رأسه عن الأوراق المبعثرة أمامه، وردّ التحية بإيماءة سريعة، وأشار إلى الكرسي المقابل دون أن يتكلّم.

جلس "رُهاب"، مستقيم الظهر، مشتّت التفكير، ثم استجمع ما تبقّى من رباطة جأشه، وقال بنبرة جمعت بين الاحترام والرجاء:

- أعرّفك بنفسي، أنا "رُهاب"، ابن الأستاذ "جميل" الذي تواصل معكم قبل ثلاثة أيام بشأن توظيفي.

رفع المدير حاجبيه قليلًا كمن استدعى الذاكرة، ثم مالت شفتيه إلى ابتسامة خفيفة، لا هي بالباردة ولا بالترحيبية، وقال بصوت متزن:

- أجل، أذكر حديثه جيّدًا.

ثم أردف، وهو يزيح الورق عن يمينه ويشبك يديه على سطح المكتب:

- كما تعلم، هذه مستشفى استثمارية أو يمكن أن نقول "خاص"، ولسنا ممّن يُجاملون على حساب العمل. أبوابنا لا تُفتح إلا لمن أثبتَ أنه أهلٌ لحمل الثقة.

صمت لحظة، ثم نظر إلى "رُهاب" بعين فاحصة، وأضاف:

- لكن حديث والدك كان مختلفًا. رأيت في كلماته عنك شابًا ناضجًا، يحمل من المسؤولية ما يُرجى منه ومن الصدق ما يُعوَّل عليه.

ثم أشار إلى الجهة الأخرى من المبنى وهو يتابع:

- توجّه إلى مكتب العُهدة، استلم زيّك الرسمي، ثم إلى قسم العناية المركّزة، هناك ستبدأ أولى خطواتك، تحت إشراف الأطباء.

****

ناول المشرف "رُهاب" زيَّه الخاص فشكره الأخير بأدبٍ جم وامتنان ظاهر ثم انصرف مرتديًا لباسه الجديد، متجهًا إلى قسم العناية.

دلف إلى القاعة الهادئة، فألقى السلام بصوت واضح مهذب، غير أن أحدًا لم يُجبه. لم يرفع رأس، ولم تتحرك شفة. بدا أن الحضور لم يلحظوا دخوله أصلًا. لم يُعر الأمر اهتمامًا زائدًا؛ فالرهبة الأولى أحيانًا تلبس المشهد ما ليس فيه. طاف ببصره أرجاء المكان، تلفّت حوله باحثًا عن موضع للحاجة، فرأى مريضًا يتقلّب في فراشه، يئنّ بصوتٍ خافت ويده تميل "بالكانيولا" حتى شارف الأنبوب على الانفلات.

اقترب منه بخفة، وثبّت الأنبوب بإحكام، ثم مال يسأله بصوتٍ خفيض:

- كيف حالك؟ هل تشعر بشيءٍ يؤلمك؟

رفع المريض رأسه بصعوبة، ونظر إليه نظرةً مضطربة، قبل أن يهمس بنبرةٍ خافتة ممزوج بارتجاف:

ـ لا أحد هنا حقيقي .. الجميع أقنعة .. اهرب قبل أن تصبح التالي!

لم يتغيّر في وجه "رُهاب" شيء. لم يندهش ولم يستفسر. فقط رمق المريض بنظرةٍ قصيرة، كمن سمع من قبل كلماتٍ شبيهة قيلت في ظروفٍ شبيهة، فأحيانًا يقول الألم ما لم يقله العقل.

وما هي لحظات حتى أغمض المريض عينيه بفعل المهدئ، واستغرق في نومٍ عميق.

مضى "رُهاب" إلى زاوية الغرفة، حيث وضعت آلة القهوة الصغيرة على منضدة قديمة، وأعدّ كوبًا يعينه على التركيز. غير أنّ بخار القهوة لم ينجح في تبديد الضباب الذي بدأ يعلو رأسه... كان عقلُه يعيد المشهد في صمت:

"ما الذي قصده ذلك المريض؟

من هم "الزائفون" الذين تحدّث عنهم؟

وهل كانت كلماته محض هلوسة، أم خلفها ما يستحق التأمّل؟"

قاطع شروده صوتٌ أنثوي هادئ:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رفع "رُهاب" بصره، وردّ بتحيةٍ مماثلة، ببشاشة هادئة:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قالت وهي تتقدّم نحوه:

- أنت جديد هنا؟

أجاب وهو يضع ملعقته جانبًا:

- نعم، تسلّمت العمل اليوم، منذ بضع ساعات فقط.

ابتسمت وقالت:

- أهلًا بك. أنا ريم.

بادلها ابتسامة مهذّبة:

- تشرّفت، أنا أدعى رُهاب.

نظرت إليه متفحّصة، ثم قالت:

- تبدو وكأنك لست من هنا.

أومأ برأسه وقال ببساطة:

- بالفعل .. كنت أعيش في القاهرة، وحين تخرّجت، فضّلت العودة والعمل هنا، قريبًا من جدي.

قالت بلطفٍ صادق:

- شرفٌ لنا وجودك .. وإن احتجت إلى شيء، لا تتردد في طلب المساعدة.

- أشكركِ يا ريم، أقدّر لكِ لطفكِ.

ابتسمت بخفة وقالت وهي تهمّ بالانصراف:

- حسنًا، لن أُطيل عليك .. إلى اللقاء، رُهاب.

- إلى اللقاء.

مضت "ريم" من أمام عينيه، تاركة خلفها سكونًا غريبًا.. فحين أتت، شعر بامتلاك كل شيء، وحين غابت، أدرك أنه قد أضاع شيئًا لم يعرف أنه كان يملكه: قلبه!

ثم ابتسم ساخرًا من نفسه، وهزّ رأسه في صمت، يلومها ويعاتبها ويضحك عليها في آنٍ واحد.

أغرامٌ من أول لحظة؟ أم مجرّد وهمٍ مجبول من التعب والغربة؟

لكنه رغم ذلك لم يستطع أن يُنكر أنّ هذا المكان قد بات مختلفًا فجأة..

ربّما لأنه الآن، حيث وجد "ريمة قلبه".

عاد "رُهاب" إلى المنزل وقد أنهكه يومٌ طويل - لم يكن قاسيًا- لكنه استنزف منه أكثر مما ظن. فتح الباب بهدوء، وتسلّل إلى الداخل على أطراف التعب، فإذا بجده ما زال مستيقظًا، جالسًا في ركنه المعتاد، يتأمل صفحة من كتابٍ لم تبرح يده.

قال بصوتٍ منخفض:

- السلام عليكم ورحمة الله، يا جدي.

رفع الشيخ بصره إليه، وابتسم قائلًا:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. حيّاك الله يا بني، كيف كان يومك؟

ابتسم "رُهاب" ابتسامةً واسعة، ثم قال بنبرة مرحة:

- لو تدري يا جدي بحلاوة عملي الجديد، وعيونه، ورقّته، وملامحه .. لعلمت أنه سرق قلبي قبل أن أبدأ فيه حقًّا!

رفع الجد حاجبيه في دهشةٍ مستبشرة، وقال وهو يحدّق فيه بمكرٍ لطيف:

- أَوَ لعملك الجديد صوتٌ ناعم أيضًا؟

ضحك "رُهاب" بصوتٍ خافت وقال:

- يبدو أن الرجال، وإن شابت رؤوسهم، لا تغيب عنهم أسرار النساء.

ضحك الجد وقال مستعيدًا شريط الذكريات:

- كنتُ أسبقك إلى مثل هذه الأقوال .. مع جدّتك، رحمها الله.

- رحمها الله يا جدي، وطيّب ثراها.

ثم نهض وهو يتمطّى قليلًا وقال:

- سأذهب لأنال قسطًا من الراحة، فالعمل ينتظرني مع الصباح.

أردف الجد بنبرة لا تخلو من مداعبة:

- لا تنسَ أن تُبلّغ صاحبة عيون الريم سلامي!

ضحك "رُهاب" وقال وهو يلوّح بيده:

- لستَ بالهيّن يا شُعيب .. يا شيخ العجائز.

تبادلا الضحك، ثم انسحب "رُهاب" إلى غرفته، يتوسّد أفكاره التي لم تعرف في تلك الليلة إلا وجهًا واحدًا .. "ريم"، تلك التي علقت بذاكرته كما تتعلّق النجمة بطرف الليل.

اليوم التالي..

استقلّ "رُهاب" عربة التوصيل متجهًا إلى مقرّ عمله، غير أنّه ما إن اقترب من المستشفى، حتى طلب من السائق التوقف على مسافةٍ قصيرة منه. أراد أن يقطع بقيّة الطريق مشيًا على قدميه .. لعلّ النسيم الصباحي يُبدّد بقايا السهر، أو لعلّه يمرّ صدفةً بجوار شيء يُشبه ابتسامة "ريم".

لكن ما إن اقترب من البوّابة، حتى تجمّد في مكانه.

المبنى الذي رآه لا يشبه ما دخله بالأمس. الجدران مشقّقة والنوافذ محطّمة وأعشاب برّية تسلّقت الحواف، بدت البناية كمن هجرت الحياة منذ أعوام. لا صوت .. لا حركة .. لا إشارات تدل على وجود مرفق طبي يعمل.

وقف "رُهاب" في مكانه مصفوعًا بالذهول. نظر إلى اللوحة المثبّتة فوق المدخل، بالكاد تُقرأ، وقد بهتت حروفها تحت غبار السنوات.

كيف؟

كنتُ هنا بالأمس .. دخلت، عملت، تحدّثت مع "ريم" .. وسلّمت على المرضى!

قطع تيّار أفكاره صوتٌ رجوليّ من خلفه:

- عذرًا يا بني، أيمكنني مساعدتك في شيء؟

استدار "رُهاب"، وقد ارتسمت الحيرة على وجهه:

- نعم، من فضلك .. ما الذي جرى لهذا المكان؟

لقد كنت أعمل هنا بالأمس، أقسم لك .. هذا المستشفى، لقد كان حيًّا!

نظر إليه الرجل باستغراب، ثم قال وهو يضمّ حاجبيه:

- تعمل هنا؟ يا ولدي، هذا المكان مغلق منذ أكثر من خمسة عشرة سنة! كيف لك أن تأتي وتدخل وتعمل هنا، وأنا لم أرَك من قبل؟ أنا حارس هذا المبنى، ولا يدخل أحد إليه.

قالها الرجل العجوز بصوت يحمل شيئًا من الغضب وشيئًا من الذهول، فردّ رُهاب بحيرة:

- مهجور؟! ولماذا هو مهجور؟ ماذا حدث؟

رمقه الحارس بنظرة حذرة، ثم قال بنبرة حاسمة:

- اسمع، يا بُني، هذا الكلام لا يجدي نفعًا، اذهب من حيث أتيت، ولا تعد إلى هنا.

ظل رُهاب واقفًا مكانه، مشدوها، عاجزًا عن فهم ما يحدث. هل يعقل أن يكون المشفى الذي قضى فيه نهاره بالأمس، وتحدّث فيه مع "ريم" والمرضى والممرضين .. مهجورًا؟! مهجور منذ سنين؟! أخذ ينظر إلى المبنى المتآكل، جدرانه تكسوها الشقوق، نوافذه محطّمة، وآثار الزمن التي مرت عليه بعنف. وفي قرارة نفسه يقول:

- لا، لا يمكن .. ربما أصاب الحارس شيء من الخرف .. لكن ماذا عن المبنى؟ أنا أراه بعينيّ متهالكًا كما يقول .. كيف؟! كيف؟!

راح يتجوّل في الطرقات القريبة وقلبه يئن بالأسئلة، وتفكيره يلاحقه كظلّه، حتى "ريم" لم تغب عن خاطره، بل ازدادت حضورًا .. من تكون؟ وأين اختفت؟ وكيف يصل إليها؟

عاد إلى منزل جده شاردًا، لم يلقِ السلام حتى، جلس صامتًا كمن خرج من كابوسٍ ما زال يعيش فيه. قطعه صوت جده شُعيب:

- ما بك يا بُني؟ مذ دخلت لم تنطق بكلمة واحدة..

تنهد رُهاب بعمق، ثم قصّ عليه ما حدث، من لحظة خروجه من البيت وحتى وقوفه أمام المشفى المهجور.

ارتسمت علامات الدهشة على وجه الجد، وسأله بجدية:

- رُهاب .. هل أنت بخير؟ هل .. هل تعاطيت شيئًا؟

انفجر رُهاب:

- ماذا؟! أهذه ردّة فعلك؟!

ربّت الجد على كتفه وقال:

ـ تمهَّل يا ولدي .. لكن ما تقوله لا يُصدَّق. مستشفى سمالوط الخاصة؟ تلك مهجورة منذ أكثر من عشرين عامًا!

شهق رُهاب:

ـ ماذا تقول؟! كيف؟! أنا كنت هناك بالأمس!

نظر إليه جده مطوّلًا، ثم قال بهدوء:

- اسمعني جيدًا .. ذلك المكان أُغلق منذ زمن بعيد، بعدما وقعت فيه جريمة قتل بشعة. منذ ذلك اليوم لم يدخله أحد.

وقف رُهاب مذهولًا:

- جريمة قتل؟! أي جريمة؟ ومَن قُتل؟

تنهد الجد وقال:

- لا مجال للحديث الآن .. ارتَح قليلًا، وفي الصباح سأقصّ عليك كل ما أعرفه.

****

رهاب، استيقظ يا رهاب!

- ريم! كيف وصلتِ إلى هنا؟ كيف دخلتِ غرفتي؟

- هذا ليس مهمًّا الآن. علينا أن نذهب إلى المشفى، أريد أن أريك شيئًا.

- مشفى؟ أليس مهجورًا؟

- هيا بنا، هذا ليس وقت الأسئلة.

بعد دقائق، وصل رهاب برفقة ريم إلى المشفى.

الصمت يُخيّم على المكان، الأروقة معتمة، ريم تسير بثبات كمن يعرف وجهته جيدًا.

توقّفت أمام إحدى الغرف، ثم همست:

- انظر هناك..

- دكتور وسيم! مدير المشفى؟ ماذا يفعل هنا؟

- إنهم.. إنهم يتاجرون في الأعضاء البشرية.

- ماذا؟ مستحيل! لقد بدا وجهه بالأمس بشوشًا! لم أتوقّع منه هذا أبدًا..

- يفعلون هذا منذ زمن طويل، في الخفاء..

- ولم يعلم أحد؟

- لا أحد .. سوانا الآن.

- يجب أن نُبلغ الشرطة فورًا، هؤلاء يشكّلون خطرًا على المجتمع!

- ليس بعد. علينا أن نعرف عدد الضحايا أولًا.

- ليس بعد؟! إن لم نُبلغ الآن، فربما نكون نحن الضحية التالية!

لكن فجأة..

رآهم الدكتور وسيم، وأمر من معه بإحضارهما فورًا!

ركض رهاب وريم عبر الممرّات، يحاولان النجاة. دخلا غرفة الأرشيف وأغلقا الباب خلفهما، يلهثان.

قال رهاب بصوت متهدّج:

- ماذا الآن؟ كيف سنخرج؟

- لن نخرج.

- ماذا تعنين؟

- نظام الأمن هنا يعمل بالذكاء الاصطناعي، سيجدوننا عاجلًا أم آجلًا.

- يا إلهي .. هل هذه نهايتنا؟ على يد تجار أعضاء؟

- اهدأ، لنفكّر بهدوء.

لكن الوقت لم يسعفهما..

بدأ أحدهم بمحاولة فتح الباب، فهرع رهاب وريم لإسناده ومنع الحراس من الدخول.

لكن مقاومتهما لم تدم طويلًا.

اقتحم الحراس الغرفة، وأمسكوا بهما واقتادوهما إلى غرفة العمليات حيث كان الدكتور وسيم بانتظارهما.

- ضعوهما على الأسرة!

صرخ رهاب غاضبًا:

- إن لم تتركونا، سأُبلغ الشرطة! سيفضحكم الجميع!

لكن لا أحد سمع صراخه..

ظُلمة .. لا يدري من أين جاءت، ولا كيف تكاثرت بهذا الشكل المفزع، لكنها تُطبق عليه من كل الجهات. جدران المكان تنكمش ببطء، والسقف يهبط ينوي أن يسحقه. الهواء كثيف، راكد، لا يُشبه الهواء الذي يتنفّسه في اليقظة. كل شيء حوله يختنق .. حتى صوته.

جد رهاب:

- رهاب .. استيقظ، يا بُني!

- من؟ جدي! أين أنا؟

- أنت في المنزل، يا ولدي.

- ماذا حدث؟ وكيف وصلتُ إلى هنا؟

- كنت هنا منذ البارحة، لقد سمعتُك تصرخ في نومك، فأسرعت إليك.

حدّثني، هل ثمة أمرٌ يُقلقك؟

- لا يا جدي .. لا شيء. يبدو أنه مجرد كابوس مزعج.

جلس الجد شعيب بجوار حفيده، وراح يتلو عليه آياتٍ من الذكر الحكيم، حتى غلب النعاس جفني رهاب وغطّ في نوم هادئ.

****

اليوم التالي..

جلس رهاب في زاويةٍ من المقهى، يحتسي قهوته ببطء، بينما عيناه سارحتان في الأفق، وعقله تائه في تفاصيل ذاك الحلم الغريب..

المشفى.. ريم.. من تكون؟ أكانت حقيقية؟ أم وهمًا نسجه عقله المثقل؟

اقترب صديقه نَصّار وجلس قبالته، ثم راح يُراقبه في صمتٍ قبل أن يقطع السكون بقوله:

- سرحتَ بعيدًا، يا رهاب .. ما الذي يشغل بالك؟

تنهّد رُهاب وأردف:

- لا أعلم، منذ ليلة الأمس وأنا أشعر أن شيئًا غريبًا يطوقني .. رأيتُ في منامي فتاة تُدعى ريم، كأنني أعرفها، لكنني لا أذكر من أين.

صمت نَصّار لحظة، ثم قال:

- إن كنتَ تبحث عن تفسيرٍ مختلف، فربما عليك أن تسأل من له دراية بعالمٍ آخر .. عالم الجان.

قطّب رهاب حاجبيه، وقال بحسمٍ:

- لا، لا أؤمن بتلك الأمور .. ديني لا يسمح لي بأن ألهث خلف الخرافات.

ابتسم نصّار بهدوء:

- لن تخسر شيئًا، يا صديقي .. لستَ مُطالَبًا بشيء سوى أن تسأل. لا طقوس، لا استدعاء، فقط أسئلة.

ظلّ رهاب صامتًا، يتأرجح بين قناعاته القديمة وحيرته الحاضرة، حتى قال أخيرًا بصوت خافت:

- حسنًا... فقط أسئلة.

- حسنًا، سآخذك إلى "الست حليمة".

- ومن تكون؟ وأين أجدها؟

- امرأة مسنّة تسكن في قرية "شفطور"، ليست بعيدة من هنا .. لها باعٌ طويل في تلك الأمور.

- وهل تُمكنك مرافقتي إليها؟

- (ينظر إليه بعينين فيهما حذر) إن كنتَ مصرًّا، فهلمّ بنا..

- حسنًا، هيا اتبعني.

****

بعد مرور نصف ساعة..

- ها هو منزلها.

- شكرًا لك يا نصّار.

- على الرحب والسعة. هل ترغب أن أنتظرك إلى أن تنتهي؟

- لا، عد إلى عملك، لا أريد أن أؤخّرك.

- لا تقلق يا رهاب، ثمة من يقوم بمهامي هذا اليوم .. سأنتظرك هنا.

- حسنًا، لن أتأخر.

اقترب رهاب من باب المنزل وطرقه طرقات خفيفة مترددة، فُتح الباب ببطء، لتطل منه امرأة مسنّة، تبدو في الستينات من عمرها، نظراتها نافذة، غامضة، كمن يُبصر ما لا يُبصره الآخرون.

بدأ رهاب الحديث قائلاً:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يا ست حليمة.

- وعليكم السلام، من أنت يا ولدي؟

- أنا رهاب.

- وماذا تريد؟

- جئت أستفسر عن أمر، وسأعود كما أتيت.

دلف إلى داخل الدار خلفها، أشارت إليه أن يجلس على أريكة في زاوية الغرفة، ثم جلست قبالته وقالت:

- تحدّث، ما الذي جاء بك إليّ؟

سرد لها رهاب كل ما حدث منذ قدومه إلى سمالوط، مرورًا بالمشفى ولقائه بريم، وانتهاءً بكوابيسه الليليّة، ثم قال بصوت تغشاه الحيرة:

- أريد أن أفهم ما يحدث، ولماذا أنا بالتحديد؟ وما سرّ مشفى سمالوط؟ ومن هي ريم؟

أطرقت حليمة رأسها لحظة، ثم رفعت عينيها نحوه وقالت:

- ما رويته لا يقود إلا إلى شيء واحد..

– وما هو؟ أخبريني، أرجوك.

– البوابات النجمية.

انتفض رهاب من مكانه وقد احمرّ وجهه، وقال بتلعثم:

- البوابات النجمية؟!

– نعم يا ولدي، إن كنت حقًّا تريد أن تبلغ مرادك.

بقي رهاب في مكانه مذهولًا، تتلاطم الأسئلة في ذهنه، ثم قال بصوت خافت يائس:

- حسنًا .. أنا موافق.

نهضت الست حليمة ببطء، ورفعت السجادة في منتصف الغرفة، فإذا تحتها دائرة منحوتة في الأرضية، تتوسطها نجمة خماسية، وقد نُقشت حولها رموز وأرقام غريبة، لم يستطع رهاب فكّ طلاسمها.

- انزع قميصك، وتمدد في وسط الدائرة، هكذا.

فعل كما أمرته، وقد استبدّ به القلق والخوف. اقتربت منه حليمة، تحمل قارورة صغيرة مملوءة بسائل أحمر داكن، سكبت القليل منه على جسده، ثم بدأت تتمتم بكلمات مبهمة، صوتها يعلو تدريجيًّا:

"أيّها الملك خاتون الماتون، جئتك بالذبح العظيم، بدماء الماعز الأثيم، لا تردنا خائبين.. من فوق الأرض نطلب، من محضركم العظيم نرجو، يا قائد العصاة، يا سيد الشياطين، ائتنا بمرادنا، كما أخذنا من قبل العهود، لا نحمل خيانة، ولا نخلف عهدًا...

إلى خادمتكم حليمة بنت صابر، أَتِ إلينا يا خاتون العظيم.."

ارتجّت الأرض تحت قدميه، والدخان غمر المكان، وكل شيء صار يهتز من حوله، شعر وكأن المنزل على وشك الانهيار، ثم.. غاب عن الوعي.

****

بعد وقت غير معلوم..

أفاق رهاب بصعوبة، كان مستلقيًا على سرير طبي، الضوء خافت، والهواء مشبع برائحة مطهرات المستشفيات. حاول أن يعتدل، وقال بصوت متهدّج:

- أين أنا؟ جدي .. ما الذي حدث؟

– أنت في أمان يا ولدي .. اتصل بي نصّار وأخبرني أنك هنا، فجئت إليك مسرعًا.

– "هنا" .. أين تحديدًا؟

– في مستشفى سمالوط.

– (اتسعت عيناه، وكأن صاعقة أصابته) مستشفى سمالوط؟! لكنها .. مهجورة!

– لا يا بني، أنت في "مستشفى سمالوط النموذجي"، وليست الخاصة المهجورة.

قبل أن يستوعب رهاب ما سمعه، قُطع حديثهما بدخول رجل يرتدي بالطوًا أبيض:

- السلام عليكم ورحمة الله، يبدو أنك بدأت تتماثل للشفاء يا رهاب.

التفت إليه رهاب، وفي لحظة صمتٍ طويلة، حدّق في ملامحه، ثم قال بتردد:

- أنا.. أعرفك. رأيتك من قبل.

ابتسم الرجل ببساطة وقال:

- أنا الدكتور وسيم، الطبيب المعالج لحالتك. وهذه ممرّضتي ريم.